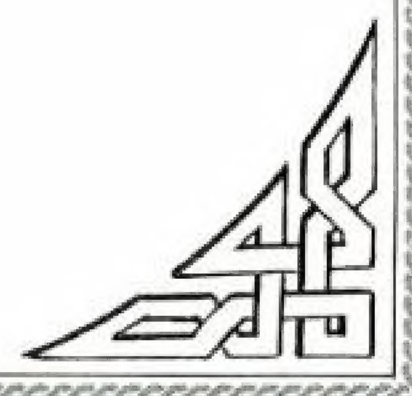

أوائل المسلمين
٨
إسلام
العاص بن الربيع
بقلم
السيد شحاته

أوائل المسلمين

إسلام العاص بن الربيع

بقلم
السيد شحاته

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العَالَمين ، والصَّلاةُ والسلامُ عَلَى المبْعوثِ رحمةً للعَالمينَ ، وعلى آله وصَحْبِهِ ، ومن اهتَدى بَهدْيِهِ إلَى يَومِ الدّين .

وبَعْد :

فَهَذهِ صُورة صادِقةٌ بيْنَ يَديْك أيُّها القارئ العَزيزُ ، لصَفوةٍ منَ الصَّحابَةِ الأجلَّاء الَّذين دخَلُوا فى دِينِ الله أفواجًا وضحَّوْا بالغالى والنَّفيسِ فى نَشْر هذه الدَّعوة المبَارَكة .

وقد جاءَتْ رائعةَ الأُسْلوبِ ، قَريبةً إلى الأذهان .

والله نرجُو أن تكونَ مُفيدةً هادِيةً ، وأن يستَفيد منها كُلُّ مُسلمٍ لأنَّها مأخُوذَة من صفحات التَّارِيخ الإسلامى العظِيم .

والله وليُّ التوفيق

ابـــنُ الخـــالـــةِ

أمَّا بَطَلُنا فى هٰذِه القِصَّةِ فَهوَ صِهرٌ مِنْ أصْهارِ النَّبىِّ صَلواتُ اللهِ عَليهِ ذٰلكَ هُوَ أبو العَاصِ بنُ الرَّبيعِ ، مِنْ بَنى عَبدِ شَمسِ بْنِ مَنافِ بْن قُصىٍّ ، وهُوَ مِنْ فِتْيان مَكَّةَ المعْدُودِينَ ، ومِنْ رِجَالِهَا الأفْذاذِ الأطْهارِ ، ومِنْ أكثَرِهم مَالاً ، وأوْفَاهمْ ذِمَّةً ، وأوْسَعِهم حِيلَةً فى التِّجارَةِ ، مَعَ أمَانةٍ وشَرَفٍ .

وأمُّه هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلدٍ ، أُخْتُ خَديجة أُمِّ المُؤمنِينَ رَضىَ اللهُ عَنْها ، وزَينَبُ بِنْتُ خَالَتِه ؛ لهٰذا اسْتَعانَ أبُو العَاصِ بخَديجَةَ خَالَتِه ، لتَخْطُبَها لهُ مِنْ أبيها مُحمَّدٍ عَليهِ صَلَواتُ اللهِ وسلامُه وكانَ لَم يُبْعثْ رَسُولاً بعدُ .

وكانَتْ خَديجةُ تُعِزُّه وتُكْرِمُه ، وتَتَّخِذُه فى مَكانةِ وَلدِها ، وتَحْرِصُ عَلى قُرْبهِ مِنْها ، فتَقدَّمتْ رَضىَ اللهُ عَنْها إلَى زَوْجِهَا عَليهِ السَّلامُ ، وسألَتْه أنْ يُوافِقَ عَلى زَواجِ ابْنتِهمَا « زَينبَ » مِنَ ابنِ خَالتِها أبِى العَاصِ بْنِ الرَّبيعِ .

وَكانَ عَليهِ السَّلام يَبرُّ خَديجَةَ كلَّ البِرِّ ، ويجْتَهِدُ أنْ يُرْضيها كمَا تُحِبُّ ، فَلَم يخَالِفْ لَها رَأياً ، ولَم يرد لَها سُؤالاً .



وزُفَّتِ العَروسُ الطَّاهرةُ إلَى الزَّوجِ الأبيِّ الكَريمِ . وكان ذَلكَ قَبلَ الرِّسالَةِ .

* * *

ولمَّا أكْرمَ اللهُ مُحمدًا عَليهِ صَلواتُ اللهِ وسَلامُه نَبيًّا ، واصْطَفاهُ لتَبليْغِ رِسَالتِه ، أسْرعَ كَثيرٌ مِنْ أهْلِه وَذَويهِ إلَى تَصْديقِه والإيمانِ بِه ، وكانَ مِنْ أوَّلِ المسْلمينَ هؤُلاءِ زَوْجتُه خَديجَةُ ، وبنَاتُه رَضيَ اللهُ عَنْهنَّ . وكانَ مِنْ بنَاتِه المصَدِّقاتِ لَه زيْنبُ عَروسُ أبِي العَاصِ بنِ الرَّبيعِ .

وتَكاثَر المسْلمونَ يَومًا بَعدْ يَومٍ فأزْعجَ ذَلكَ المشْرِكينَ وقَال بعْضُهُم لَبعضٍ :

إنَّ مُحمداً صَارَ خَليًّا مِنَ الهمُومِ ، وأعْباءِ الحيَاةِ ؛ لأنَّهُ زوَّجَ بناتِه ، وانْصَرفَ لدَعْوتِهِ ، هٰذِه الدَّعوةُ الَّتي تَكْسرُ مِنْ شَوكَتِنا وتُسفِّه مَا كانَ يَعْبدُ آباؤُنا .

فلمَاذَا نتركُه بِلاَهمٍّ ، ولاتَفكيرٍ ؟

وتَفتّقَتْ أفْكارُهُم عَن حِيَلٍ خَبيثَةٍ ، ومَكايدَ شِرِّيرةٍ ، ذَلكَ أنَّهمْ قالُوا لابُدَّ أنْ نَسْعى لتَطْليقِ بنَاتِه مِنْ أزْواجِهنَّ ، فَيعدْنَ إلَى بَيتِه ، يحْملُ هُمومَهُنَّ ، ويتَلهَّى بهِنَّ عنَّا .

فَمشَوْا إلَى عُتبةَ بنِ أبِى لَهبٍ ، فقَالُوا لَه :

– طَلِّقْ رُقَيَّةَ بنتَ مُحمدٍ ،ونَحنُ نُزَوِّجُك أىَّ امْرأةٍ تُرِيدُها مِنْ قُرَيشٍ .

واخْتارَ زَوْجةً زَوَّجوهُ بِهَا ، وطلَّقَ رُقَيةَ بنتَ الرَّسولِ ، قَبل دُخُولِهِ بهَا ، وكانَ ذَلكَ إكْرامًا مِنَ اللهِ لهَا .

ثمَّ مَشَوْا الَى أبِى العَاصِ بن الرَّبيع – وكانَ عَلَى شِرْكِهِ – فقالُوا لَهُ :

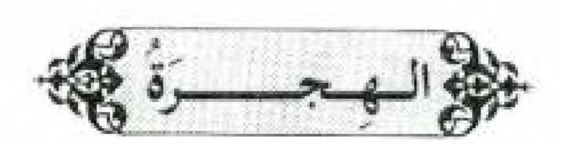
– ياأبَا العاصِ . طلِّق زَينبَ بنْتَ مُحمدٍ ، ونَحنُ نُزَوِّجكَ أىَّ امْرأةٍ غيْرِهَا مِنْ قُرَيشٍ ، فأبَى أنْ يَسْتجيبَ لهٰذِه الدَّعوةِ الشِّرِّيرَةِ ، وقالَ :

– لاأُفارقُ صاحِبَتِى ، وماأُحبُّ أنْ يَكونَ لى أىُّ امْرأةٍ مِنْ قُرَيشٍ .

* * *

واستَمرَّ أبو العَاصِ عَلَى شِرْكِهِ ، وأَسْلَمتْ زَينبُ ، وانْصبَّ غَضَبُ الكُفَّارِ عَلى الرَّسولِ فى مَكَّة ، وكانَ فى قِلَّةٍ مِنَ المسْلمِينَ ، وآذَوْهُ إيذاءً شَدِيدًا فَصبرَ ، وصَبَرتْ مَعهُ هٰذِه القِلَّةُ ، ولكنَّهمْ عاشُوا فى مَكَّة بَينَ المجَاهَدةِ فى نَشْرِ الدَّعوةِ وتحمُّلِ أذَى الكُفَّارِ .

وشُغِلَ النّبيُّ بالدّعْوة المبَارَكة وتَحمَّل فى سَبيلهَا ماتَحمَّلَ ، ولَكنَّ إرادَةَ الخالِقِ سُبْحانَه لابُدَّ أنْ تَنْفُذَ .



الـهـجـرَةُ

ولمّا آذنَ اللهُ للرّسولِ الكَريمِ بالهجْرةِ إلَى المدينَةِ المنوَّرةِ خَرَج مَعَ صَحبِه أبى بَكْرٍ وتَركَ أهْلَه فى مَكّةَ ، وكانَ ذَلكَ عَلى نَفْسهِ أليمًا ، ولَكنَّها النُّبوّةُ الطّاهرةُ ، والدّعوةُ المجيدةُ يَركَبُ الكَريمُ مِنْ أجْلها الصّعْبَ ، ويتَخطّى العقَبات . وهكَذا انْدفَع رسُولُ اللهِ العَظيمِ إلَى غرَضِه ، فَتفتَّحتْ أمَامهُ آفاقٌ جَديدةٌ ، وأوْشَكَ فَجرُ النّصرِ أنْ يَطلُعَ ، حتّى يُبدِّدَ ظُلماتِ الشّرْكِ الّتى فَعلَتْ أفاعيلَها فى مَكّةَ .

* * *

تَركَ عَليهِ السّلامُ أهْلَه وأوْلادَهُ كلَّهم فى مَكّةَ ، ولامُعينَ لَهمْ ولا نَصيرَ مِنْ أهْلٍ أو ذِى قُرْبى ، ولَكنَّ رحمَةَ اللهِ ورِعايتَه لَهمْ فَوقَ كلِّ رِعايةٍ .





غــــزوة بــــــدر

ومِنَ المدينَة بَدأَ عَهدٌ جَديدٌ ، إذْ عبَّأَ الرَّسولُ عَليهِ السَّلامُ أَصْحابهُ لنُصْرةِ الحقِّ ، وتَبْديدِ قَواعِد الشِّركِ ، وكانَ عَليه السَّلامُ قد عَلِمَ أن تجارَةً لقُريشٍ بزعامة أبي سُفيان فى طَريقِها إلى مكَّة ومَعَها عدد من زُعماء قُريشٍ ، فقال لأصحابه : اخرجوا إليها عسى الله أن يجعلها لنا غنيمةً ، ولكنَّ أبَا سُفْيان عَلِمَ بخُروجِ المسْلمين فغيَّرَ طريقَهُ ونجا بتجارته . فأعدَّ الرسُولُ أنْصارَهُ لملاقاةِ قُريشٍ فى مَوْقعةِ بَدرٍ ، وكانَ المسْلمونَ قَليلينَ إلَا أنَّ اللهَ أَمَدَّهُمْ بجنودٍ غَيْرِ مَنْظورةٍ ووقَفَ الرَّسُولُ الكَريمُ أَمَامهُمْ وقالَ :

– شُدُّوا عَلَيهِم .

فَهزِمَ المشْركونَ ، وقُتِل مِنْهمْ مَنْ قُتلِ ، وأُسِرَ مَنْ أُسِرَ .

* * *

ولما انْتَهى الرَّسولُ الكَريمُ مِنْ أَمْرِ الموقِعَة رَجعَ الَى المدينَة ، ومَعَهُ الأَسْرى مِنَ المشْركينَ ، فاستَقبَله أَهْلُ المدينةِ بالتَّرحيبِ والتَّكْريمِ ، وبعدَ ذَلكَ فرَّقَ الأَسْرى عَلَى أَصْحابِه ، بَعدَما نَصَحهُم وقَال لَهمْ :

- اسْتَوْصُوا بالأَسَارى خَيْرًا .

وبَعدَ فَترةٍ فُتِحَ بابُ الفِداءِ ، فَمنْ أَرادَ مِنْ قُرِيشٍ أَنْ يُطْلِقَ أَسِيرهُ تَقدَّمَ فَدفَعَ الفِدْيةَ .

وصارتْ قُريشٌ تنْسَلُّ واحِدًا بَعدَ واحِدٍ إلَى المدِينة تَطلبُ أنْ تَفْتدِيَ أسْراها ، وجَعَل الرَّسولُ عَليهِ السَّلامُ لفِداءِ الأسْرَى نِظامًا : إمَّا بالمالِ يدْفعهُ ولىُّ الأسِيرِ ، وإمَّا بأنْ يُعلِّم المشْرِكُ - الذى يقرأُ ويكتبُ - عشرةً مِنَ المسْلِمينَ القِراءةَ والكِتابةَ ، ثمَّ يُطْلَقُ أسِيرهُ ، وكانَ يَهدفُ عَليهِ السَّلامُ إلَى نَشْرِ التَّعليمِ ، والعِلْم ، بَينَ المسْلمِينَ ، إذْ كانَ عارِفُو القِراءةِ والكِتابَة مُعظَمهُم فى قُريشٍ ، والإسْلامُ دِينُ علم يحْتاجُ إلى القارِئِين والكَاتبِينَ ، كمَا أنَّ أوَّل آياتِه حَضَّتْ علَى العِلْم فقَال تعالَى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ
مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾

فــــداءٌ

وكانَ لابُدَّ للمُشْرِكينَ مِنْ قَرَيشٍ أَنْ يَفتَدُوا أسْراهُم ، الذينَ صَارُوا فى حَوزةِ المسْلمينَ ، بَعد انْتصارِهم .

فكانَتْ تَفدُ كُلُّ قَبيلةٍ لتُفْدِى ابنَهَا ، لِيُطْلَقَ سَراحُهُ مِنْ أَسْرِه ، وكَانتْ كلُّ قَبيلةٍ تُقدِّمُ فِداءً لأسيرِها ، أيًّا كانَ هَذا الفِداءُ .

وكانَ مِنْ بينِ الأسْرَى أبو العَاصِ بنُ الرَّبيع زَوجُ زينب بنت الرُّسُولِ ، وكانَ لابُدَّ لأهْلِه أنْ يهتمُّوا بافتدائِه ، وإطْلاقِهِ مِنْ أسْرِه ؛ ليعُودَ إلَى بيْته .

حَملَ الفِداءَ مِنْ مَكَّة عَمروُ بنُ الرَّبيع ، وسَار إلَى المسْلمينَ فى المدينَة ، لِيُطْلَقَ سَراحُ أخيه أبِى العَاصِ .

وكانَ الفِداءُ مالاً ، وفى المالِ المقَدَّمِ قِلادةٌ لزَينبَ زَوجةِ العَاصِ وبِنْتِ الرَّسولِ ، ولِهَذِه القِلادةُ مَنْزلةً سامية عِنْد الرَّسولِ ولها ذِكْرياتٌ سَعيدةٌ طيِّبةٌ ، إذْ كانَتْ خَديجةُ رَضىَ الله عَنْها زَوجةُ مُحمدٍ عليهِ السَّلامُ قَدْ أهْدتها إلَى ابنَتِها زينَب لَيْلَةَ زفافِها ، وكانَ الرَّسولُ العظيمُ عَليهِ السَّلامُ ، يعْرِف القِلادَة ويذْكُر تاريخَها .

ولمَّا جَاءَ عَمْرو بنُ الرَّبيع بِفدْيةٍ يقَدِّمُها ليُطلِقَ سَراحَ أخيهِ

تلفتَ النبيُّ صلواتُ اللهِ عليهِ وسلامُهُ . فوقعَ نظرُهُ على قِلادةِ زَينبَ وكانَ يعرِفها ، ويعرِفُ مُناسبتَها مُنذُ أهدتْها الزَّوجةُ الكَريمةُ إلى البنتِ الكريمةِ . فأخذتْهُ - عليهِ السَّلامُ - الذِّكرى ، وثارَتْ في جَوانبِه العَواطفُ الرَّحيمةُ النَّبيلةُ .

وهَلْ عَواطفُ مُحمدٍ إلاَّ الفيضُ الإلٰهيُّ ، والنُّورُ السَّماويُّ ، والرَّحمةُ المُبْصِرَةُ ؟

رقَّ قلبُه رِقَّةً شديدةً ، وتفجرتْ في قلبِه أنبلُ العواطفِ عليهِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ .

والتفتَ إلى مَنْ يأخُذُ الفِداءَ ، وقالَ عليهِ السَّلامُ ، في حَنانٍ ، وفي رِفْقٍ :

- إنْ رأيتُمْ أنْ تُطلقُوا الأسيرَ ، وتَرُدُّوا مالَهُ فافعلُوا » .

فقالُوا :

- نَعمْ يارَسُولَ اللهِ ! !

- سارعَ المسلمونَ إلى تكريمِ هٰذهِ العاطفةِ السَّاميةِ ، وأطلقُوا سَراحَ أبي العاصِ مُكرَّمًا وردُّوا معهُ القِلادةَ إلى زَينبَ .

* * *



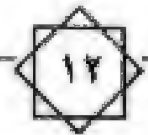
ولمَّا أرادَ أبُو العاصِ أنْ يَرحَلَ – بَعد إطْلاقِ سَراحِه – إلَى مَكَّة استوقفَهُ مُحمدٌ عَليهِ السَّلامُ ، وطَلبَ مِنهُ أنْ يُخْلِي سَبيلَ زَينَبَ ، فَهِيَ لم تَعدْ لهُ ، لأنَّها مُسْلمةٌ ، وهُو مُشركٌ ، فَرضِيَ الزَّوجُ أنْ يُرسِلَ بزَينبَ إلَى أبيها ؛ لتبقَى مَعهُ فِى المَدينَة .

وبعَثَ الرَّسولُ عَليهِ السَّلامُ – فِى طلبِ زَينَبَ – رَجُلينِ يَحْرسانِها الَى المَدينةِ ، ويَصْحبانِها فِى طَريقِها الطَّويلِ ، بَعدَ أنِ اتَّفقَ مَعَ زَوْجِها أنْ يَحملَها إلَى مَوْضعٍ يَبعدُ نَحْوَ ثمانيةِ أمْيالٍ عَنْ مكَّةَ ، ثُمَّ يُسلِّمُها إلَى رَسُولَىْ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

وصَلَ أبُو العاصِ إلَى مَكَّةَ ، فقَابلهُ المُشرِكونَ فَرحينَ بعَودتِه ، ولَكنَّ نَفْسَهُ كانَتْ تَذوبُ بَينَ جَنْبَيهِ ، فَهوَ لابدَّ مُوفٍ بوَعْدِه لصِهْرِه الكَريمِ وفِى سَبيلِ ذَلكَ سَتُفارقهُ زَوجُه ، فَكانَ بَينَ أمْرينِ شاقَّيْنِ ، ولَكنَّه لابدَّ أنْ يَفِىَ بَعهدِه لرَسُولِ اللهِ ، مَهْما يَكنْ مِنْ أمرٍ .

شاعَ فِى مَكَّة أنَّ زَينبَ سَتُسافرُ إلَى المَدينةِ ؛ لتلْحَقَ بأبِيها ، والنَّاسُ بينَ مُصدِّقٍ ومُكذِّبٍ .

كيفَ أنَّ أبا العاصِ وقَدْ رجَعَ إلَى بَلدِه ، وصارَ بَينَ أهْلِه يتْرُكُ



امْرأته تَرجعُ إلَى الرُّجلِ الذِى حَاربَ قَومَه ، وسفَّه آراءهُم وأسرَ رِجَالهم ؟

فَهُو وَإنْ يَكُنْ أباها ، إلاَّ أنهُ عدوٌّ لقومِه ، خَارجٌ على مُعتقداتِهِم يتربَّصُ بهِمْ ، ويجتهدُ فى حَرْبِهِم ، وإلْحاقِ الأذَى بِهِمْ .

أرادتْ هندُ زَوْجُ أبِى سُفْيانَ أنْ تتثبَّتَ مِنْ سَفَرِ زَينبَ إلَى المدينة فذَهبَتْ إليها ، وجَلسَت مَعَها جِلْسةً فِيهَا حَنانٌ ورِقَّةٌ ، وقالَتْ لَها :

– يابْنَتَ مُحمدٍ ، بَلغنِى أنَّك تُرِيدِينَ اللُّحوقَ بأَبيكِ .

فقالَتْ زَينبُ :

– مَاأَردْتُ ذَلكَ .

قالَتْ لهَا هِندٌ :

– أىْ ابنةَ عمِّى ، لاتترَدَّدِى ، وإنْ كُنْتِ فى حَاجةٍ إلَى مَالٍ أوْ إلَى متَاعٍ يُساعِدكِ فى الرِّحلةِ ، فاطْلبيهِ ، فَهوَ عِنْدى لكِ ، ولَكنَّ زَينبَ – وهِىَ بنْتُ مُحمدٍ وبنْتُ خَدِيجةَ – خَافَتْ مِنْ هِندٍ ، فأنْكَرت أنها تُرِيد شَيئًا .

* * *

فَرَغَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ عَلَيهِ السَّلامُ مِنْ جِهَازِهَا ، وقَدَّم لها أَهْلُ زَوجِها بَعِيرًا ، فَرَكِبَتْهُ ، فى هَوْدَجٍ لَها ، وتَحدَّثَ بذَلِكَ رِجالٌ مِنْ قُرَيشٍ :

قالُوا :

تَخْرُجُ بِنْتُ مُحمدٍ إليهِ عَلانيةً ، والنَّاسُ تَعرِفُ كَيفَ أَصابنَا أَبُوها ، وفرَّقَ جمَاعتَنا ، وحارَبَ قَوافِلَنا ، ويُرِيدُ أَنْ يذلَّنا ؟!!

سارَتْ تِلْكَ المَقالةُ بَيْنَ قُرَيشٍ ، فَتحمَّسَ مُشْرِكٌ أَثِيمٌ هُوَ : هَبَّارُ بنُ الأَسْوَدِ ، فانْطلقَ حَيثُ كانَتْ زَيْنَبُ فى هَوْدَجِها فَروَّعَها ، ووقَفَ فى طَرِيقِها ، وسَدَّدَ إليها لِسانَهُ ورُمْحه وسَيفه ، وكانَتْ حامِلاً فَسَقَطتْ عَلى صَخْرةٍ ، فمَاتَ جَنِينُها ، وأَصابَها هَمٌّ وفَزَعٌ وأقْبلَ أَهْلُ زَوْجِها ، وأَقْبلَتْ قُرَيشٌ ، وتَسامَعَ النَّاسُ بِخَبَرِها ، وثَارتْ ثَورةُ زَوْجِها وإخْوَتِه ، ولكِنَّ كِبارَ قُرَيشٍ هَدَّءُوهُم ، وأَسْكتُوهُم ، وقالُوا لِزَوجِها :

– كَيفَ تَسيرُ بِهَا عَلاَنيةً ، وأَنْتَ تَعرِفُ أَنَّ أَباهَا قَدْ حارَبَنا ونَكبَنَا ؟ إِنَّنا إِنْ رَضِينَا بِعَملِكَ هَذا ظَنَّ النَّاسُ أَنَّ ذَلِكَ عَن ذُلٍّ أَصَابنَا ، وضَعْفٍ حَلَّ بِنَا .

ولَيسَتْ لنَا حاجَةٌ فى مَنْعِها عَنْ أَبِيها ، ولَيسَ فى حَبْسِها عِندَنا

فَائدةٌ لنَا . ولَكِنْ ارجِعْ بهَا الآنَ ، ثمَّ أَخْرِجْها إِلَيهِ سِرًّا فى ظُلْمةِ اللَّيلِ حتَّى لا يَتحدَّثَ النَاسُ عنَّا .

فَرجعُوا بزَينَب ، وأقَامَتْ أيَّاماً ، حتَّى إذَا هَدأَ النَاسُ خَرجُوا بهَا سرًّا فأسْلَموهَا إلَى رَسُولَىْ - رَسُولِ اللهِ بَعْدَ مَكَّةَ بثَمانيةِ أمْيالٍ .

وأقَامَ الزَّوجُ أبُو العَاصِ بنُ الرَّبيعِ بمكَّةَ ، وأقَامَتْ زَينبُ بنتُ الرَّسولِ عَليهِ السَّلامُ مَعَ أبيهَا فى المدينَةِ مُعزَّزَةً مُكرَّمةً .

* * *

خَرجَ أبُو العاصِ بنُ الرَّبيعِ فى رِحْلَةٍ ، وكَانَ الأغْنياءُ يعْطُونهُ مالَهُمْ ، ليتَاجِرَ لَهُم فى الأسْواقِ الَّتِى يخْرجُ إلَيها العَربُ فى الشَّامِ وفى اليَمنِ ، ولَهُ نَصيبٌ فى الرِّبْحِ ، وكَانَ مَعْروفاً بيْنَهمْ بالسُّمعةِ الطَّيبةِ ،والأَمانةِ المُمتازةِ .

فخَرجَ فى بَعْضِ رَحلاته إلَى الشَّامِ ، يحْملُ تجارَتَه إلَى أَسْواقِها ، ولمَّا فرَغَ مِنْ تجارَتِه ، وأقْبلَ عائدًا إلَى مَكَّةَ ، لَقيتْه سَرِيَّةٌ مِنْ سَرايَا المسْلمِينَ وكانَتْ تَقفُ لمصَادرةِ أمْوالِ المشْركينَ .

تَقدَّم مِنْهُ أبْطالُ السَّريةِ وقالُوا لَه :

- هَلْ لَكَ أنْ تَدخُل فى الإسْلامِ ، وتأْخُذَ مامَعكَ مِنْ مالِ المشْرِكينَ مِلْكًا خَالصاً لَكَ ، لأنَّها أَمْوالٌ حَلالٌ لِلْمُسْلِمينَ .

فقالَ أبُو العاصِ :

– بئسَ ماأبدأُ بهِ إسْلامِى أنْ أخُونَ أمَانتِى ! !

فأخذُوا مَامعهُ ، وفرَّ هُو هَارباً منْهُم .

وحَملتِ السَّرِيَّة ما كَانَ مَع أبِى العَاصِ مِنْ مالٍ إلَى المدِينَة ، ليَكونَ فى حَوزةِ المسْلمِينَ .

وفى ظَلامِ اللَّيلِ أقْبلَ أبُو العاصِ إلى المدِينَة ، فدَخَلها ، واستَمرَّ يَسْأل حتَّى عَرفَ بَيتَ رسُولِ اللهِ ، فدَخَل فِيهِ إلى زَينبَ زَوجَتِهِ ، فاسْتَجار بِهَا ، وطلبَ مُساعدَتَها ، ليأْخذَ ما كانَ تحتَ يَدِهِ مِنَ المالِ ، لأنَه أمَانَةٌ تحتَ يَدِهِ . فَرحَّبتْ بهِ زَينبُ وأجَارتْهُ .

فلمَّا خَرجَ رسُولُ اللهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، لصَلاةِ الصُّبحِ ، وارْتَفَع صَوتُ الأذَانِ : اللهُ أكْبرُ اللهُ أكْبرُ ، صرخَتْ زَينبُ مِنْ بَيتِ النِّساءِ وقالَتْ :

– أيُّها الناسُ ، إنِّى قَدْ أجَرتُ أبا العَاصِ بنَ الرَّبِيعِ .

أقْبلَ الرَّسولُ عَليهِ السَّلامُ على صَلاتِهِ ، وخَلفهُ المسْلمُونَ ، يؤَدُّونَ فَرِيضَةَ اللهِ فى خُشوعٍ واطْمِئنانٍ .

ولمَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ أقْبلَ الرَّسولُ الكَريمُ عَلى المصَلِّين ، وقَالَ :

- أيُّها الناسُ ، هَلْ سَمعتُم ماسَمِعْتُ !

قالُوا :

- نَعمْ يارَسُول اللهِ .

فقَالَ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّم :

- أمَا والذِي نَفْسُ مُحمدٍ بيَده مَاعَلمْتُ بشَيءٍ مِنْ ذلكَ حتَّى سَمعتُ ماسَمعتُم : إنَّه يُجِيرُ عَلى المسْلمِينَ أدْناهُم .

ثُم انْصَرف صَلواتُ اللهِ عَليهِ ، ودخَلَ عَلى ابْنَته ، فَقالَ :

- أىْ بُنيَّة ، أكْرِمى مَثْواه ، ولا يَخلُصنَّ إلَيكِ ، فإنَّك لا تحلِّينَ لَه .

تَصرُّفٌ حَكيمٌ ، وتَدبيرٌ سَليمٌ ، صدَرَ عَنْ رسُولِ ربِّ العَالمينَ .

واتِّجاهٌ راشِدٌ ، ورَأىٌ مُسدَّدٌ أنْ يتَّجهَ رسُولُ اللهِ عَليهِ السَّلامُ إلَى ابْنتِه لتُكْرم أبا العَاصِ ، فَهوَ ابنُ خَالةٍ . وهُو زَوجٌ ، وهُوَ الوفِىُّ الأمِينُ ، الذِى عاهَد الرَّسُولَ فصَدَق ، وخَرجَ بمَالِ قَومِه وهُوَ الآنَ يستَميتُ فى ردِّ المالِ إلَيْهم ، والعَودةِ بالأمَانةِ إلَى دِيارِهم ، ثمَّ هُو قَدْ لجأَ إلَى الجِهةِ الَّتِى يأمُلُ فيهَا الخَيرَ ، ويرْجُو عِندَها النَّجاحَ . ومَنْ أوْلَى مِنْ رسُولِ اللهِ برِعَاية حُقُوق الزَّوجَة

والزَّوج ؟ إنَّه يحفظُ على الزَّوجةِ حمايتَها لزَوْجها ، ولكنَّهُ يحذِّرُها أنْ تُعطيَه كُلَّ حُقوقِ الزَّوجِ على زَوْجها لأنهُ مُشْركٌ وهيَ مُسْلمةٌ والإسْلامُ فرَّقَ بيْنَهما ، فَلا سَبيلَ لهُ إلَيْها إلاَّ إذَا أسْلَم .

بَعدَ أنِ اطْمأنَّ الرَّسولُ عَليهِ السَّلامُ إلَى رِعايةِ أبي الْعاصِ ، وإلَى تَنْفيذِ حقُوقِ الدِّينِ فى بَيْته . ذَهبَ إلَى السَّرِيَّةِ التى أخذَتْ مَالَ أبِي العَاصِ فقَالَ لَهمْ :

– إنَّ هٰذا الرَّجلَ منَّا حَيثُ قَدْ علمتُم ، وقَدْ أصَبْتمْ لَه مَالا فإنْ تُحْسنُوا ، وترُدُّوا عَليهِ الذِى لَه فإنَّا نُحبُّ ذَلكَ ، وإنْ أبيْتُم فَهو فَيْءُ اللهِ [غنيمة] الذِى أفاءَ عَليْكم فأنْتُم أحقُّ بهِ .

فقالُوا :

– يارَسولَ اللهِ ، بلْ نَرُدُّه عَليهِ .

ثمَّ أرْجَعُوا المالَ الذِى كانَ معَ أَبي العَاصِ إلَيهِ ، لَم يَنْقُصْ مِنهُ شَيءٌ .

حَملَ أبُو العَاصِ المالَ إلَى مَكَّةَ ، بَعْد أنْ غابَ عَنْها زَمنًا طَويلاً وظَنَّ المشْركونَ فيهِ الظُّنونَ ، وقالُوا بأنَّه ذَهَب بمَالِنا إلَى زَوْجتِه وإلَى صِهْره .

ولَكنَّ أبَا العاصِ كانَ أوفَى ذِمَّةً ، وكانَ أصْدقَ عَهْداً مِنْ كَثيرٍ مِنْ رجَالاتِ قُريشٍ .

أخَذَ المالَ إلَى أصْحابِه ، وأدَّى إلَى كلٍّ صَاحِبِ مالٍ مَالَهُ ، ثمَّ قالَ :

– يامَعْشَرَ قُريشٍ : هَلْ بَقِيَ لأحدٍ مِنْكم عِنْدِي مالٌ لَم يأْخُذْهُ ؟

قالوا :

– لاَ ، فَجزاكَ اللهُ خيرًا ، فَقَدَ وَجدْناكَ وفيًّا كَريمًا .

فَقالَ أبُو العاصِ :

– فأنَا أشْهدُ أنْ لاَ إلَه إلاَّ اللهُ ، وأنَّ مُحمدًا عَبدُهُ ورَسُولُه ، واللهِ ما مَنعنى عَنِ الإسْلامِ فى المدينَة إلاَّ مخَافَة أنْ تَظنُّوا أنِّى طَمعتُ فى أمْوالِكُم .

فَلمَّا أدَّاها اللهُ إلَيْكُم ، وفَرغتُ مِنْها أسْلمتُ .

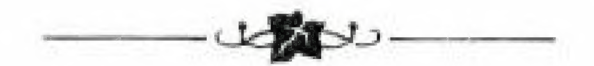
أدَّى العاصُ بنُ الرَّبيعِ أمانَةَ قَومِهِ ، وسلَّم كلَّ ذِى حقٍّ حَقَّه بعَد أنْ تحمَّل فى سَبيلِ ذَلكَ مَشقَّةً وتَعباً .

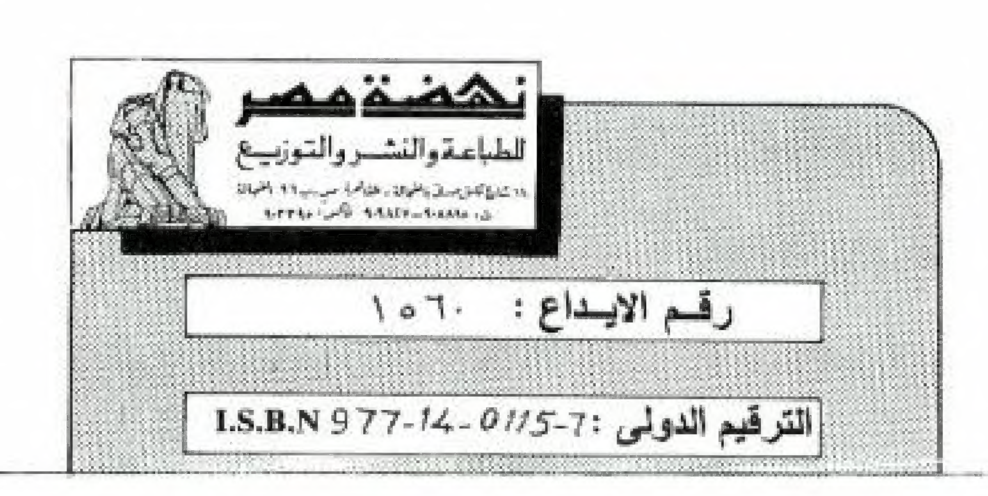
رحلة كريمة

ثمَّ عزَمَ علَى أنْ يخرُجَ مِنْ مكَّة إلَى المدينةِ مُهاجرًا كريمًا ، ومُسْلماً طَاهراً فقدِمَ إلَيْها حتَّى دَخَلَ علَى رسُولِ اللهِ ، صَلواتُ اللهِ عليهِ وسلامُهُ ، وأخْبرهُ بمَا كانَ ، وأعْلنَ أمَامهُ إسْلامَه ، ففرحَ بهِ الرَّسولُ فَرحًا شَديدًا وردَّ إليهِ زَوْجتَه زَينَب ، بَعدَ أنْ صارَ مُسْلماً .

ولَكنَّ القدَرَ القَاسِى لَم يترُكِ العاصَ فى رَاحةٍ وسَلامٍ ، لَقَد ماتَتْ زَينبُ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْها ، مِنْ تأْثيرِ سُقُوطها وهِىَ مُهاجرةٌ بَعْد أَنْ روَّعهَا هبَّارٌ الملْعونُ .

وسَلامٌ علَى زَينب فى الصِّدِّيقين والشُّهَداء والصَّالحينَ .





رقم الايداع : ١٥٦٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N 977-14-0115-7